دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ISI International Scientific Indexing, [8140].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.3].

# التحولات الاجتماعية والاقتصادية في منطقة آيت باعمران على عهد الاستعمار الإسباني (١٩٣٦ - ١٩٦٩)

**د. أنوزلا الحسان**

دكتوراه التاريخ المعاصر من جامعة الحسن الثاني

مدير مركز عبد الرحمان الركاز للأبحاث والدراسات

العيون – المملكة المغربية

## مُلَخّص

*تعتبر مرحلة الاستعمار الإسباني لبعض المناطق المغربية مفصلية في فهم مرحلة مهمة من تاريخ المغرب المعاصر، باعتبار التأثيرات التي خلفتها على مختلف المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ومن ثمة، فإن دراسة التحولات الاقتصادية والاجتماعية بمنطقة "آيت باعمران" على عهد الوجود الإسباني، يجد جدواه في ارتباطه بهذا المجال الجغرافي المتاخم للصحراء والذي اعتبر قضية شائكة في تاريخ المغرب بدأت تفاصيلها المؤثرة منذ نهاية القرن التاسع عشر. إن دراسة التحولات الاقتصادية والاجتماعية بمنطقة آيت باعمران على عهد الاستعمار الإسباني، تجد أهميتها في محاولة رصد تداعيات التدخل الاستعماري بالمنطقة وتمثلاتها الاقتصادية والاجتماعية خلال حقبة تاريخية محددة، وما أنضاف إليها خلال مستوى زمني واحد، فالتحول في نظرنا كمفهوم يحمل معايير التبدل المستمر في الأشياء، وفي التعامل مع هذه الأشياء، وبمعنى أدق فإن التحولات الاقتصادية والاجتماعية تشكل جانبًا من جوانب الوجود الإسباني بالمنطقة خلال فترة زمنية تمتد من سنة ١٩٣٤ إلى سنة ١٩٦٩. وتسمح دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لمنطقة آيت باعمران خلال الحقبة الاستعمارية، بتتبع مظاهر التعايش والتصادم بين الثابت والمتحول في الأحوال والظواهر الاقتصادية والاجتماعية على ضوء السياسة الاستعمارية ونتائجها بالمنطقة، نجحت سياسة الإدارة الإسبانية بمنطقة آيت باعمران في اختراق المجتمع المحلي، وإحداث تحولات عميقة في بنية القبائل الباعمرانية عبر اعتماد مجموعة من المداخل التي مثلت أساس توجهاته وممارساته الاستعمارية، التي وضعت المنطقة أمام تثاقف نسقي سريع وقسري أنتج تحولاً موجهًا ومشوهًا للثقافة المحلية. لقد كان اختيارنا للفترة المدروسة نابع من ضرورة منهجية وموضوعاتية تستمد مشروعيتها من حتمية تتبع ورصد الاختلالات البنيوية التي غيرت من وظائف وأولويات اقتصاد محلي يتصف بالتقليدي، والذي لم يكن معزولاً عن الرؤى الاقتصادية الشاملة التي تحكمت في تصورات الوجود الإسباني بمنطقة آيت باعمران، التي ارتكزت على تقويض التجارة المحلية وتغيير الأطراف المتحكمة فيها، في مقابل فسح المجال لتجارة السلع الأوربية بشكل واسع، والعمل على فتح الطريق أمام انتشار أنشطة محسوبة على القطاع الاقتصادي ستكشف عن الأهداف القريبة والبعيدة للسياسة الاقتصادية الإسبانية بالمنطقة.*

## بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٠ نوفمبر ٢٠٢١

تاريخ قبـول النشـر: ٢٩ نوفمبر ٢٠٢١

## كلمات مفتاحية:

آيت باعمران؛ الاستعمار الإسباني؛ التحولات؛ المجتمع؛ الاقتصاد

## معرِّف الوثيقة الرقمي:

DOI 10.21608/KAN.2021.260380

## الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

أنوزلا الحسان، "التحولات الاجتماعية والاقتصادية في منطقة آيت باعمران على عهد الاستعمار الاسباني (١٩٣٦ - ١٩٦٩)".- دورية كان التاريخية.- السنة الرابعة عشرة- العدد الرابع والخمسون؛ ديسمبر ٢٠٢١. ص ٢٠٦ – ٢٢١.

**Corresponding author**: anouz.alhassan@gmail.com

Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

**Open Access** This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشرت هذه الدراسة في دَّورِيةُ كَان التَّارِيخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

## مُقدِّمَةٌ

تعتبر فترة الاستعمار الإسباني لبعض المناطق المغربية أساسية في فهم تاريخ المغرب المعاصر، باعتبار التأثيرات التي خلفتها على مختلف المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ومن ثَمَّ، فإن موضوع التحولات الاقتصادية والاجتماعية بمنطقة "آيت باعمران" على عهد الوجود الاسباني، يأخذ أهميته من ارتباطه بهذا المجال الجغرافي الذي شكل قضية شائكة في تاريخ المغرب منذ نهاية القرن التاسع عشر. وتجد دراسة التحولات الاجتماعية والاقتصادية[1] معناها من التبدل من حال إلى آخر وفق سياق ينضبط في قوانينه الداخلية لسيولة زمنية ذات أبعاد لا تنفصل إحداها عن الأخرى؛ بمعنى أنه تفاعل واستمرارية في البنية المعنية بزمن التحول، وقد يعني هذا التحول القفز، أو السقوط من حال إلى حال.

إن دراسة التغييرات الاقتصادية والاجتماعية بمنطقة آيت باعمران على عهد الاستعمار الاسباني؛ هي محاولة لرصد ما لحق بالمجتمع والاقتصادي المحليين خلال مستويين زمنيين هما المحددين لهذه التحولات، والمتمثلين فيما قبل الوجود الاسباني وما بعده، وبالتالي فهذا التحول يحمل كمفهوم معايير التبدل المستمر في الجانب الاجتماعي والاقتصادي، وفي التعامل مع هذه التغيرات خلال مرحلة ١٩٣٤-١٩٦٩م.

لقد كان اختيارنا للفترة المدروسة نابع من ضرورة منهجية وموضوعاتية تستمد مشروعيتها من حتمية تتبع ورصد الاختلالات البنيوية التي غيرت من وظائف وأولويات اقتصاد محلي يتصف بالتقليدي، والذي لم يكن معزولا عن الرؤى الاقتصادية الشاملة التي تحكمت في تصورات الوجود الاسباني بمنطقة آيت باعمران التي ارتكزت على تقويض التجارة المحلية وتغيير الأطراف المتحكمة فيها، في مقابل فسح المجال لتجارة السلع الأوربية بشكل واسع، والعمل على فتح الطريق أمام انتشار أنشطة محسوبة على القطاع الاقتصادي ستكشف عن الأهداف القريبة والبعيدة للسياسة الاقتصادية الاسبانية بالمنطقة.

وبما أن منطقة آيت باعمران شكلت محور اهتمام إدارة الاستعمار الاسباني تبعًا لأهميتها الإستراتيجية على الساحل الأطلسي، فقد كان استقرار المعمرين الإسبان بها كثيفًا، وكانت حدة تأثيرهم وتدخلهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية تزداد بارتفاع عددهم وأنشطتهم ومستوى اختلاطهم واندماجهم مع المجتمع المحلي الذي يتصف ببنيته الاجتماعية والاقتصادية التقليدية التي يسهل من خلالها تلمس تمثلات الوجود الاسباني بالمنطقة، وإيجاد أشكال التثاقف بين الطرفين.

وتمس التحولات الاجتماعية البنى والأنساق الاجتماعية، وتؤثر في العلاقات الاجتماعية ومستوياتها، وقد تؤدي في نهاية المطاف إلى بروز ظواهر اجتماعية دخيلة على المجتمع المحلي تؤثر بطريقة مباشرة في صور التنظيم ومضمون الأدوار الاجتماعية وآليات صناعة النخب. لذلك وجب التساؤل هنا؛ عن كيفية تعامل الاستعمار الاسباني مع البنيات التقليدية للمجتمع المحلي وطرق اختراقها، وكذا البحث في التغييرات التي طرأت على البناء الاجتماعي من حيث الوظائف والقيم والأدوار الاجتماعية خلال فترة محددة من الزمن، عن طريق استقراء سياقات وملابسات هذه التحولات والوقع الذي أحدثته على مستوى الهوية ومنظومة القيم المحلية، وتتبع ارتداداتها على النسيج العمراني للمدينة سواء على مستوى الشكل أو المضمون، والذي يمثل أحد تجليات الاستيطان البشري بالمنطقة، وشكلا من أشكال التعامل مع المجال والتكيف مع إكراهاته وتحدياته.

## أولاً: التحديد الجغرافي وأصل تسمية "آيت باعمران"

يتميز مجال آيت باعمران بموقعه الاستراتيجي الذي ينفتح غربا على الساحل الأطلسي، ويحده من الشمال الشرقي قبيلة "آيت أبريم"، ومن الشرق "قبائل الأخماس"، أما جنوبا فنجد مجال وادي نون حيث تنتشر "قبائل تكنة". وعلى العموم فإن "فانسون مونطاي" يحد هذا المجال في الجنوب الغربي للأطلس الصغير الغربي، حيث يمتد على مساحة تقارب ١٥٠ كلم[2] بين خط العرض °9 و°50 و°10 و°30 وبين خطي الطول °20 و°29 و°35[3].

ويَعتبر ديوان المنصور السعدي، المؤرخ بنهاية القرن العاشر الهجري، أقدم وثيقة ورد فيها اسم "آيت باعمران" وفق الصيغة التالية "بعمرانة"، وترد إشارة أخرى في وثيقة اسبانية سابقة للوثيقة السعدية تعود لسنة ١٤٩٩م، تُعرف المجال بـ "أولاد عمار"[4]. ويرتبط ورود مفردة "آيت باعمران" في الوثائق الرسمية بمشاكل انتظام هذه المجموعات القبلية في الخدمة المخزنية، وبطبيعة العلاقات السائدة بين القيادات المجاورة، وهو ما تحيل عليه ظهائر التعيينات التي لحقت القواد الباعمرانيين خلال الفترة العلوية، والتي يمكن بواسطتها تحديد المجال الباعمراني.

إن آيت باعمران الواردة في ديوان المنصور السعدي، تمثل رمزا لاتحاد مجموعة بشرية وفدت عناصرها من جهات مختلفة، والتي تبدو جلية من خلال أسماء الأسر والرواية الشفهية المحلية، علاوة على الروابط التي ظلت تربطها بالقبائل التي انطلقت منها، حيث نميز في هذه الأسر الجبلية الوافدة من مواطن تقع بالأطلس الصغير، "كآيت صْوَابْ" و"إدَاوْ سَمْلالْ" والصحراوية "كأولاد أدليم" المشكلين لمعظم أسر قبيلة "اصْبويَا"، أما قبيلة "سْماهْرَة" فقد كان أفرادها قبل انتماءهم لآيت باعمران في عداد بطن "شْتوكَة" المعدودة من جملة فروع قبيلة "أزركَيين" الصحراوية[٤]. علاوة على بعض الأسر التي هاجرت إلى المنطقة من شمال المغرب.

وتأسيسًا على ذلك، يمكن اعتبار ظهور اتحاد "آيت باعمران" نتيجة للتحالفات التي تمت بين عرب معقل بعد وصولهم لجنوب المغرب، وبين قبائل سوس التي كانت منضوية تحت اسم "كزولة أو "زناكَة" أو "لمطة"، لاسيما أن نسق التحالف الذي كان سائدا آنذاك عند القبائل المعقلي يتميز بسيادة اسم الوحدة الأكثر هيمنة داخل الحلف على باقي وحداته. وقد يبدو هذا الطرح صحيحا حين نتفق على أن هذه التسمية من مخلفات الأحلاف التي رافق تشكيلها اندماج عرب معقل في القبائل التي وجودها بسوس، شأنها شأن بقية الأسماء المعقلية مثل "دو بلال" و"مجاط" و"أولاد جرار"[٥].

سرعان ما غدت تسمية آيت باعمران التي كانت في الأصل تسمية لحلف سياسي، تحمل دلالة جغرافية باعتبارها رمزا لرقعة ترابية ينسحب اسمها على قاطنيها المتجددين بحكم اعتمادها وحدة إدارية من طرف المخزن الذي درج على استعمال هذه التسمية منذ العهد السعدي وصولا إلى الفترة العلوية، ومن ثم، فإن حدود هذا المجال تتحدد بنفوذ قبائله وامتداد مجالها أو تقلصه، فالخاصية العامة التي تميز الحدود هي كونها بشرية، حيث تخضع حركيتها لطبيعة الوحدات الاجتماعية المشكلة للقيادة الواحدة، أو لطبيعة العلاقة القائمة بين القيادات المتجاورة. ويكفي في هذا الباب استحضار قبيلة "اصبويا" المعدودة من جملة قبائل آيت باعمران، والتي ساهمت في توسيع مجال آيت باعمران جنوبا حتى التماس مع حدود مجال وادي نون بعد أن عوضت قبيلة "دو بلال"[٦] في هذه المنطقة الفاصلة.

لقد ظل اسم آيت باعمران منذ العهد السعدي، يوظف من قبل الإخباريين ومدوني الوثائق المخزنية كرمز لمجموعة بشرية أقرب إلى "كنفدرالية قبائل" تعتقد بانتمائها إلى جد أسطوري مشترك يدعى "يحيى"[٧]، وتستقر في رقعة ترابية تمتد من جنوب منطقة الساحل جنوب تيزنيت حتى وادي نون على شريط ساحلي ضيق. وتتكون حسب مدوني الأوقاف العرفية المنظمة لعلاقات الأفراد والجماعات المحلية المنتشرة على تراب آيت باعمران، من: "آيت الخمس"، "آيت عبد الله"، "آيت اعْزا"، "اصْبويا"، "آيت اخْلَف"، "آيت النصف" (النّصْ)[٨].

## ثانيًا: وصولاً إلى فرض السيطرة على تراب آيت باعمران

يُحدد "طوماسْ كَارسيا فِيغِراسْ" (*T. G. Figueras*) معالم العالم الجديد بعد الحرب العالمية الثانية بالقول: "سيدخل مرحلة جديدة تتطلب السلم والنظام، وأنه ستحكم العالم المصالح الاقتصادية، وستكون إفريقيا مصدرا للمواد الأولية، بينما ستصدر القارة العجوز الحضارة"[٩]. وهنا لا يختلف رأي "فيغراس" عن أطروحات المنظرين الكولونياليين الأوربيين بشكل عام، والذين تميزت أرائهم بنظرة استعلائية واضحة توضح رغبتهم في الدفاع عن المصالح الاقتصادية لبلدانهم، والسعي إلى نشر التنصير في المستعمرات الأوربية جنوب المتوسط.

لم تحل التضاريس المرتفعة التي تكسر رتابتها بعض الأودية، -التي تعد في نفس الوقت ممرات طبيعية- دون جعل منطقة آيت باعمران على امتداد الساحل بين مجال وادي نون ومجال سوس، منطقة عبور وربط ذات أهمية بالغة بالنسبة للقوافل التجارية التي كانت تصل بين أسواق آكادير وميناء الصويرة شمالا، ونظيراتها بوادي نون والسودان جنوبا. فقد مثلت نقطة وصل بين مناطق جبلية وأخرى سهلية، ومناطق صحراوية كان إنتاجها يرتكز على تربية الماشية وترويج السلع والبضائع القادمة من بلاد السودان، في مقابل استيراد منتجات أوربية مختلفة وتسهيل مرورها نحو مفازات إفريقيا جنوب الصحراء.

ولعل هذا الموقع الفاصل بين الصحراء وسوس، هو الذي جعل الإسبان يسارعون إلى احتلال كامل التراب الباعمراني، على الرغم من يقينهم من شح موارده الطبيعية، وهي النتيجة التي خلصت إليها اللجنة العلمية التي كلفتها الحكومة الاسبانية بدراسة المعطيات والإمكانات الاقتصادية لمستقبل إيفني[١٠].

ويبدو من السهل جدا تتبع أثار الاهتمام الاسباني بمجال آيت باعمران حين نعود إلى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ونستحضر أهم اللحظات التاريخية التي ساهمت في صناعة أحداث وحيثيات الإشكال التاريخي الذي طبع العلاقات المغربية-الاسبانية منذ النصف الثاني من القرن

العشرين، والمقصود هنا قضية "سانتاكروز ديمار بيكينيا" (Santa Cruz de Mar Pequena).

لقد شكلت هذه القضية حجر الزاوية في التحركات الاسبانية من أجل السيطرة على بعض الثغور على الساحل الأطلسي، خاصة على امتداد ساحل آيت باعمران. واعتبارا لموقفه الثابت من وجود موقع "سانتاكروز" جنوب وادي نون؛ دخل المخزن العلوي في مفاوضات عسيرة سعيا منه للوصول إلى تسوية مرضية مع إسبانيا، وكان القصد من ذلك كله ربح الوقت ومحاولة تأخير أي حل يمكن أن تسفر عنه تلك المفاوضات، وذلك بالاستناد إلى الالتباس الواضح في موقف إسبانيا من تحديد موضع "سانتا كروز" التاريخية التي تحولت لدى الأوساط الرسمية الإسبانية إلى قضية وطنية.

وأمام الرفض الفرنسي لأي تواجد إسباني على سواحل منطقة آيت باعمران، دخلت الدولتان في مفاوضات من أجل تحديد مصير المنطقة بشكل عام. ففرنسا كانت ترغب في إقصاء كل من يسعى إلى مزاحمتها في السيطرة على منطقة غرب الأطلس الصغير، خاصة بعد تمركزها بمدينة تيزنيت منذ وقت مبكر، حيث قامت بمحاولتين للسيطرة على تراب آيت باعمران عبر حملتين عسكريتين باءت كلاهما بالفشل[11]. ومن أجل صد المشروع الفرنسي؛ سارع الاسبان إلى تكثيف اتصالاتهم السلمية مع شيوخ القبائل الباعمرانية لإيجاد صيغة للتفاهم على تسليم المنطقة لهم، بعد أن باءت محاولاتهم المتكررة لإنزال قواتهم العسكرية على شواطئ المنطقة، وقد أسفرت هذه الاتصالات التي قادها الجنرال "أوزفالدو كباث" (*Oswaldo Fernando de la Caridad Capaz Montes*)، عن إقناع شيوخ قبائل آيت باعمران سنة ١٩٣٤ بالقبول بالوجود الاسباني على منطقتهم تحت ذريعة النهوض بها وإلحاقها بركب التحضر والتقدم، في مقابل احترام تعاليم الشريعة الإسلامية والتقاليد الاجتماعية السائدة لدى القبائل، وعدم التدخل في شؤونهم الداخلية، والدفاع عن المنطقة أمام الأخطار الخارجية[12].

وقد استندت هذه الخطة على أطروحة المستكشف الاسباني "بونللي" (*Bonelli*) المسماة "نقطة الزيت"، والتي ترتكز حسب قوله على: "تعميق تأثيرنا في المنطقة تدريجيا دون أن تورطنا في مواجهات عسكرية أو غيرها مع السلطات المغربية، أو تجعلنا نخل بالمواثيق الدولي التي التزمنا بها"[13].

هكذا، لم تجد القبائل الباعمرانية بدّا من القبول بالاسبان على ترابها، لتدخل المنطقة مرحلة جديدة حدّد معالمها الجنرال "كباث" الذي وضع أسس التنظيم الإداري والمدني والعسكري والاقتصادي الجديد لكامل مجال آيت باعمران. ويبدو أن هذه الترتيبات ستساهم في رسم ملامح التغييرات الاجتماعية والاقتصادية التي لحقت المجال الباعمراني بشكل عام، وحاضرة قبائله مدينة سيدي إيفني بشكل خاص، والتي يمكن عبرها تلمس هذه التحولات المراد رصدها وتحليلها.

## ثالثًا: التحولات الاجتماعية بمجال آيت باعمران

### ٣/١-إعادة ترتيب النظام الاجتماعي

سعت الإدارة الاسبانية بآيت باعمران إلى إيجاد القنوات الكفيلة باختراق النظام الاجتماعي المحلي بآيت باعمران، حيث عمدت إلى تحديث مؤسسة "الإمْغارْنْ" لضمان مباركتها لسياستها بالمنطقة، وذلك عبر ربطها بوسائل اتصال حديثة تساعدها في تأدية الوظائف الجديدة المنوطة بشيوخها، والتي لا تبعد كثيرا عن الإخبار والإعلام بأوضاع المنطقة ومستجدات أهلها. وفي سياق ذلك يندرج ربط مقر "أمغار سيدي الخمسي" بخط الهاتف مع مقر القيادة الإدارية العسكرية الاسبانية "بامَزْدوغْ"، "وبعد اعلم أنه ورد علينا مهندسين وأردناك أن توجه لنا أناس من إخوانك يقدمون معه ليجعل عمود أسلاك التلفون إلى أن يصل إلى دارك لكي يسهل علينا الكلام معك في كل وقت وحين"[14]. كما قام الجنرال "كباث" بتحديد أجور قارة يستفيد منها "الإمغارن" بلغت ٤٠٠ بسيطة في الشهر، علاوة على منحهم الحق في الحصول على الربع من كل غرامة مفروضة[15].

واستمرت التدخلات الاسبانية في مؤسسة "الإمغارن" من أجل التحكم في سيرها وتدبيرها، وذلك عبر إقالة من شدّ منهم عن سياسة الإسبان، ثم تعيين أطر وعناصر جديدة تعمل تحت مسؤولية مكتب الشؤون الأهلية، وهو الأمر الذي أسهم في خلق نخبة اجتماعية جديدة تنهل من الامتيازات التي خصصتها لها الإدارة الاسبانية، وذلك بعيدا عن تمثلات المؤسسات الاجتماعية التقليدية. وعلى هامش ذلك، قامت هذه الإدارة بتعيين أمغار جديد على قبيلة "آيت اخلف" الذي اعتبرته رجل سياستها الأول في المنطقة.

إن تحديث مؤسسة "الإمغارن" وتصعيد شيوخ جدد تبعا للمنظور الاستعماري، كان الهدف منه الحصول على مخاطب محدد وفق مقاييس معينة تضعها الحكومة المحلية التي تسعى

إلى احتواء القبائل عبر خلق سلط استبدادية تستفيد من عطاءات الإدارة الاسبانية وتنتعش على هامش سياساتها، وهو ما شجع هؤلاء الشيوخ على التفرد بالتسيير الداخلي لقبائلهم، والإستقواء بمكتب الشؤون الأهلية الاسباني من أجل الحسم في بعض القرارات المهمة كمسألة الرفع والحد من عدد أعضاء مجلس "الإنفلاس". وإجمالا فإن هذه التطورات تؤشر لبداية أفول هذه المؤسسة (آيت الآربعين) في مقابل سطوع نجم مؤسسة "الإمغارن" التي أصبح شيوخها يستمدون سلطتهم من مكاتب الشؤون الأهلية بكل من "تِيغْزَا" و"اصْبُويَا" و"تلوين" والإدارة الإستعمارية بمدينة إيفني.

ويعزز تعميق الإدارة الاسبانية علاقتها مع الشيوخ والأعيان؛ سعيها الحثيث إلى تسريع الانتقال من مرحلة التدبير السياسي إلى التدبير الاجتماعي، والاستفادة من حالة الإجماع التي يتمتع بها هؤلاء ليس فقط لدى قبائلهم، وإنما لدى قبائل أخرى بتراب آيت باعمران، حيث مكن استثمر نفوذ الشيوخ من أجل توفير الجنود والسلاح والاستعداد لتوسيع مناطق النفوذ الاسباني على حساب نظيره الفرنسي.

لقد ساد القضاء العرفي في مجال "انفلاس"[١٦]، حيث تخصصت هذه الهيئة في الفصل في النزاعات المتباينة في خطورتها على أمن الجماعة، خاصة تلك التي تهدد استمرارية وحدة وكيان القبيلة. فبقدر ما كان الفقيه يتمتع بحرية الاجتهاد في بناء أحكامه، بقدر ما كان دور "انفلاس" يتحدد في تنفيذ بنود الوفق العرفي للقبيلة، وهو ما يؤكد أن سلطة "آيت الأربعين" كانت تنفيذية أكثر منها قضائية[١٧].

إن قبائل آيت باعمران درجت على الاعتماد على فقهائها في فض النزاعات والحسم بين المتخاصمين، على اعتبار أن الحكم في القضايا الشرعية يستند إلى المصادر والنصوص الشرعية التي تعتبر شرطًا أساسيًا لبناء الأحكام، والتي تمر عبر من يتصدون للإفتاء في النوازل من الفقهاء المنبثين في مختلف قبائل آيت باعمران أو القبائل التي تجاور ترابهم، ونذكر من هؤلاء الفقهاء: الفقيه أحمد بن الحسن الباعمراني البيكري الخلفي، والفقيه الحسن بن الحاج أحمد الصنهاجي الصبوي[١٨]. ولم يكن في استقلال المجموعات البشرية داخل القبيلة الواحدة بتسيير شؤونها الخاصة، عرقلة لممارسة السلطة القضائية العرفية، فوجود تنظيم منسجم مع خصوصيات المجموعات القبلية؛ كان يشكل ضمانة لتسوية النزاعات المختلفة والمتفاوتة الخطورة بكيفية سلمية وفق قاعدة تدبير العنف المحلي[١٩].

وفي ظل ذلك، عمدت الإدارة الاسبانية منذ اللحظة الأولى لدخولها إلى آيت باعمران على الحفاظ على استقلالية القضاء العرفي، بل الأكثر من ذلك الموافقة على شرط الأعيان بضرورة الاحتكام إلى الشرع والعرف. وأمام تكاثر عدد القضايا والنوازل المعروضة على القضاء الشرعي، والتي لم يعد القضاء العرفي قادرا على توفير أجوبة لها، بادرت السلطات الاسبانية إلى تقنين خطة القضاء عبر تعيين قاضي قضاة يستمد سلطته من التعيين الاسباني له لا من سلطة العرف والجماعة، والذي كان يخضع لتكوين علمي في أبرز المراكز العلمية المعروفة بالمغرب[٢٠]، وهو ما يشير إلى بداية استقلاليته التامة عن مؤسسة "الأمغارن" وباقي الهيئات العرفية المنبثقة عن القبيلة. وقد خولت الإدارة الاسبانية لهذا القاضي تعيين قضاة يمثلونها في باقي مناطق آيت باعمران، إضافة إلى تعيين مساعديهم الذين يمثلون كل قبيلة من قبائل آيت باعمران.

### ٢/٣-المعطى البشري بين التطور العددي والتحول في التركيبة

#### (٢/٣) ١-التركيبة البشرية وتطورها

تميزت التركيبة السكانية لمجتمع مدينة إيفني بالتنوع الإثني، باعتبارها مركزا للاستقطاب والتجمع البشري لأعراق مختلفة شجعتهم السلطات الاسبانية على الهجرة إلى المدينة والاستقرار بها، وذلك بعد توفير الظروف المناسبة لذلك. وفي ما يلي تفصيل لأصول الإسبان الوافدين على مدينة إيفني نوردها في الشكل التالي:

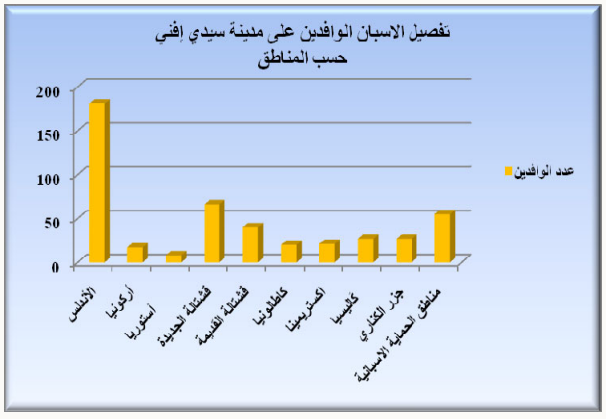


**الشكل (١)**

أصول الوافدين على مدينة إيفني خلال فترة الاستعمار الاسباني للمنطقة (بتصرف)[٢١]

لقد عملت الحكومة الاسبانية المركزية إلى تشجيع الإسبان على الاستقرار في مستعمراتها على اختلاف توزعها، وذلك من أجل خلخلة البنية الاجتماعية لهذه المستعمرات، وخلق نوع من التوازن بين الساكنة المحلية والمعمرين الإسبان، ولعل ذلك ما يفسر الارتفاع التدريجي لعدد المهاجرين الإسبان بمدينة إيفني الناطقين بمختلف اللهجات الإسبانية (الباسكية والكطلانية والأستورية...)، والحاملين لثقافات متعددة ستترك لا محالة أثرها وتأثيرها على المستوى الثقافي والاجتماعي بمدينة إيفني التي تتناقح بها الظواهر الاجتماعية وتنصهر فيها العادات التقاليد.

وقد انعكس ارتفاع أعداد الإسبان الوافدين على مدينة إيفني، وتحسن الأوضاع الصحية على مستوى تطور الولادات بالمنطقة، حيث سجلت نسبها ارتفاعا ملحوظا في الفترة الممتدة ما بين ١٩٣٤ و١٩٤٦، بعد أن كانت أعداد الولادات تتأثر بشكل كبير بالأوبئة والأمراض التي كانت تنتشر في المنطقة[٢٢]. وفي ما يلي نورد بعض الأرقام حول تطور الولادات بين سنتي ١٩٣٤ و١٩٤٦ بمدينة إيفني:

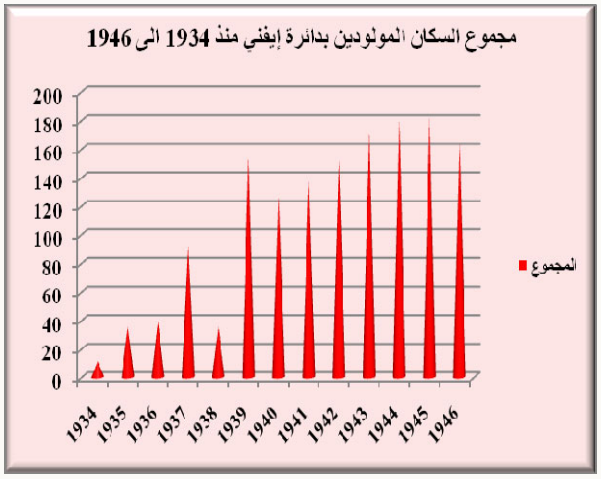


**الشكل (٢)**

تطور الولادات بدائرة إيفني منذ ١٩٣٤ إلى ١٩٤٦ (بتصرف)[٢٣]

لقد حدد إحصاء ١٩٥٠ العدد الإجمالي لسكان المنطقة ب ٣٨,٢٩٥ نسمة بينهم ٣٦,٠٢٨ مسلم و٢٢٦٧ أوربي، وذلك تبعا للإحصائيات التي تشمل مدينة إيفني فقط، اعتبارا لقوة جاذبيتها الاقتصادية والاجتماعية، واحتضانها لأغلب مؤسسات التسيير والتدبير السياسي والاقتصادي الاسباني بالمنطقة. وخلال نفس الفترة ستعرف نسب السكان المسلمين نوعا من التوازن بين الذكور والإناث (١٧٩٩٦ و١٨٠٣٢ تواليا)، في حين تفاوتت هذه الأرقام بين الأوربيين، حيث قدرت أعداد الذكور ب ١٤٩٧ فردا، بينما بلغ عدد الإناث ٧٧٠[٢٤]. وفيما يلي نورد مبيانا يوضح تطور السكان المحليين والأجانب بالمنطقة خلال الفترة الممتدة بين سنوات ١٩٥٥ و١٩٥٩:

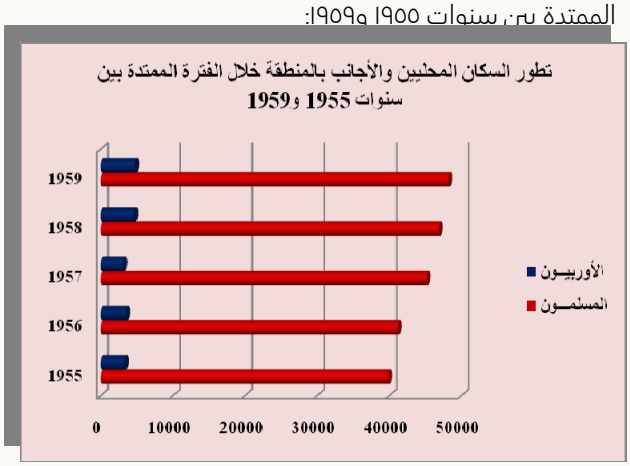


**الشكل (٣)**

تطور السكان المحليين والأجانب بالمنطقة بين سنتي ١٩٥٥ و١٩٥٩ (بتصرف)[٢٥]

وتشير هذه الإحصائيات أن نسبة النمو الديموغرافي المسجل في صفوف السكان المحليين هو *3.8%* بزيادة قدرها ١٢٢٠٨ نسمة خلال فترة الستينيات من القرن العشرين، بينما بلغت نسبة نمو الأوربيين إلى *4.2%*، ويمكن تفسير هذا النمو بتحسن وسائل العلاج وتوفر الخدمات الصحية بالمجان. وتبعا لهذه الأرقام فقد انقسم هؤلاء سنة ١٩٦٨حسب طبيعة عملهم إلى ٧٦٧ جندي، و١٠١ مسؤول عسكري، و١٠٨ مسؤول مدني، و١٧٨ يمارسون أنشطة مختلفة.

### (٢/٣) ٢-الدينامية البشرية داخل المجال

تميزت مدينة إيفني بقوة استقطابها البشري الذي نجد تمثلاته على مستوى توسع الأحياء السكانية بالمدينة التي كانت موزعة لثلاث أحياء كبرى، فإلى جانب الحي الأوربي يوجد حي الأمازيغ وحي المغاربة، ويكشف هذا التقسيم عن وعي الإدارة الإسبانية بضرورة ضبط الوافدين والمهاجرين على مدينة إيفني من البادية عبر إسكانهم في أحياء خاصة، والعمل على إخضاعهم لرقابة أمنية تقوم بها مكاتب استعلاماتها في كل من "تيغزة" و"تلوين" و"إيفني".

لقد حددت حركية السكان بين البادية والمدينة مسألة التفاوت بين الطرفين المبنية على تقنين ومراقبة الغرباء وضبط فرص الشغل والزيارات العائلية، فدفعت سكان البادية إلى تفضيل حياة البادية وخشونتها على حياة المدينة وتدابيرها

الأمنية، إلا أن ذلك لم يحل دون وجود مساهمة أهل البادية في تنوع التركيبة الاجتماعية لمدينة إيفني.

وعلى الرغم من أن المهاجرين الاسبان استمروا في ممارسة نفس التأثير، إلا أن طبيعة المجال الباعمراني لم تسعف معمريهم في تقمص دور الإقطاعي الذي يستولي على الأراضي الفلاحية ويستغلها لصالحه، كما لم تسمح الهواجس الأمنية والعسكرية بتوسع المدينة على حساب البادية، حيث ظل التعمير بجميع أشكاله في مجال آيت باعمران رهين المراكز العسكرية والخطط الأمنية، وهو ما تعكسه شبكة الطرقات التي ظلت مسخرة في غالبيتها للأغراض العسكرية.

ودفع هذا الوضع المتسم بضعف تمثلات السيادة الاسبانية ببادية آيت باعمران، بمنظري السياسة الاستعمارية الاسبانية إلى التفكير في تكثيف الحضور الاسباني بالبادية الباعمرانية على مستوى اللغة والثقافة[٢٦]. وبما أن علاقة المهاجر البدوي بمدينة إيفني وثيقة ومصيرية، فإن ارتباطه بهذا المحيط الحضري الذي يعيش ويمارس فيه أنشطته أو عمله أصبح هو المنتج الحقيقي للأسماء التي أصبح يحملها أو يتلقب بها، وقد يفتخر ويتباهى بها رغم أنها إسبانية المنشأ، ك"الشُّورُو" و"السِينْتارْيُو" و"فَلانْخي" و"الرْوينَة" و"الرَّانْشِيرُو" و"الرُوخُو"(...)[٢٧]. كما أصبح الانتقال إلى المدينة فرصة مناسبة للاحتكاك بالحياة الحضرية، وتقمص شخصية المدينة عبر ارتداء الزِّي الأوربي العصري، وفرصة للتخلص من اللباس التقليدي الباعمراني.

لقد عرفت مدينة إيفني نشاطا ملحوظا على مستوى السكنى والتعمير ارتباطا بالطفرة الاقتصادية التي عرفتها اسبانيا خلال فترة الستينيات، فأصبحت الأسر الاسبانية تمتلك شققا خاصة بها بالمدينة، كما تم تشييد بعض الأحياء السكنية الجديدة التي حاولت من خلالها الإدارة الاسبانية الفصل بين المعمرين والسكان المحليين في السكن، إلا أن التقارب الاجتماعي والطبقي بين هذه المجموعات البشرية ظل قائما، بل شكل نموذجا للتعايش والتثاقف بين الطرفين.

## رابعًا: آليات ومضامين التحول الاجتماعي

فرضت عملية تفكيك المسألة الاجتماعية بمنطقة آيت باعمران على عهد الاستعمار الاسباني؛ التركيز على الجوانب التي تمثل آليات وميادين التدخل الإسباني، عبر الوقوف عند المجالات التي تعتبرها الإدارة المحلية قنوات ضرورية لتمرير مضامين مشروعها، ومجالات لتطبيق الشق النظري منه. والمقصود هنا بالضبط السياسة التعليمية والصحية، وكل السياسات المصاحبة لها، والتي تتخذ من الفضاء الاجتماعي اختصاصا لها (التعمير).

واستندت الرؤيا الاستعمارية الإسبانية في هذا الباب، على استبدال السيطرة العسكرية باستعمار ثقافي يركز بالخصوص على تمجيد الحضارة الإسبانية سواء اللغة أو التراث، مع تعميق الخصوصية المحلية للسكان المحليين لتشريع مهمة التنمية الإيجابية وتحقيق التقدم الاجتماعي المنشود، والذي تم تلخيصه في إلزامية تحقيق تنمية محلية تهم الخطوط الملاحية والمنتوجات الزراعية وتأسيس مدارس عليا وإقامة مستشفيات ومستوصفات[٢٨].

### ٤/١-مظاهر الانتقال من تعليم تقليدي إلى نظامي

حظي هذا الميدان باهتمام كبير من طرف الإدارة الإسبانية بالمنطقة تبعا لمقررات المؤتمر الثاني للأفريقانيين (١٩٠٨)، والذي دعا إلى ضرورة مقاومة تأثير المدارس الفرنسية عبر خلق مجموعة من المدارس على امتداد مناطق نفوذ الاستعمار الإسباني، وإدماج السكان المحليين في تعليم نظامي يتماهى مع التأثير الإيديولوجي المنشود[٢٩].

لقد كان التعليم بمنطقة آيت باعمران -كباقي مناطق المغرب- يرتكز على وجود مدارس وكتاتيب قرآنية (الجامع)[٣٠] تنتشر على امتداد المنطقة. وتعتمد هذه المؤسسات التعليمية العتيقة نظاما تقليديا في التدريس والتموين، إذ كان يتولى التدريس فيها فقهاء محليون ووافدون[٣١] تلقوا تكوينا علميا تقليديا في مجموعة من المدارس العلمية بمنطقة سوس المجاورة.

ودرجت هذه المدارس على نمط تدبير تقليدي تُشارط فيه القبيلة الفقيه على أجرة معلومة من محصولهم (الحبوب والزيت أو السمن أو هما معًا)، وقد تمنح له من مخزن المدرسة شأنه في ذلك شأن مؤونة طلبته. وفي كثير من الأحيان كان نفس المدرس يشغل منصب مفتي القبيلة وقاضيها في آن واحد[٣٢]، إذ يُلجأ إليه في فض النزاعات اعتبارا لكون الحُكم في القضايا الشرعية لا يتم استنباطه اعتمادًا على العقل وحده، وإنما بالاستناد إلى المصادر الشرعية التي تعد شرطا أساسيا لتأسيس حكم يحظى بالصبغة الشرعية[٣٣].

وخلال التواجد الاسباني بالمنطقة، تناسلت الكتاتيب القرآنية التي أقامها الرحل من الصحراء الذين كانوا يعتمدون الطريقة الحسانية في التعليم خاصة على مستوى نطق الحروف، حيث كان من أشهرهم "الفقيه عبد العزيز" عضو المجلس العلمي للشرع الذي كانت خيمته الكبيرة تتسع لقرابة ١٥ إلى ٢٠

تلميذ. وقد ارتفع عدد الكتاتيب بمدينة إيفني نهاية الثلاثين ومطلع الخمسينات إلى عشرة كتاتيب، نذكر منها: كُتّاب "السي محمد الأخصاصي" وأخيه "السي المداني" وكُتّاب "السي موسى أوعبار" و"السي المحفوظ"، ثم كُتّاب "أهل الشيخ ماء العينين"، وتعددت الكتاتيب نهاية الستينات حين تقاعد الكثير من الجنود ليتفرغوا لتعليم الأطفال المحليين، ونذكر منهم "السي الحسين الحيحي" الذي سبق له أن شارك في الحرب الأهلية الإسبانية[٣٤].

ورغم انشغالها باجتثاث الشيوعيين من النظام التعليمي عقب نجاح الانقلاب الفرنكوي (نسبة إلى فرانكو)، فإن الإدارة الإسبانية سعت إلى إقامة تعليم دراسي ومهني وديني عصري متكامل يبتدئ من سن الروض إلى سن ١٢ سنة[٣٥]، أما التعليم المهني فيمتد من سنة ١٢ إلى سن ١٥ سنة[٣٦]، ويشمل تخصصات حرفية ومهنية كالحدادة والميكانيكا والنجارة وتسفير الكتب وغيرها من التخصصات.

لقد دشنت الإدارة الاسبانية بداية التعليم المؤسساتي بمجال آيت باعمران ببناء "المدرسة الموحدة" ( *La Escuela Unitaria*) سنة ١٩٣٩، والتي ضمت تلاميذ محليين إلى جانب نظرائهم الأوربيين الذين لم يكن يتعدى عددهم ٧٠ تلميذا مقابل ٥٦ تلميذة[٣٧]. بعد ذلك تم تأسيس مدرسة تعليمية ثانية خاصة بالبنين سميت "المدرسة التدريجية للأطفال" (*La Escuela Graduada de Ninos*)، قبل أن تتخذ اسما آخر هو "مدرسة طليطلة" (*La Escuela de Alcazar de Toledo*)، وذلك بعد أن تمت توسعتها واستثناء التلاميذ المحليين من ولوجها. أما البنات فكُنّ يدرسن في "مدرسة الجنرال كباث". ونظرا للإقبال الكبير على التعليم النظامي العصري -خاصة خلال ستينات القرن ١٩- سيعرف الحي العسكري تأسيس "مدرسة الجنرال توتور" التي ضمت حوالي ٤٠ تلميذا[٣٨].

لقد سعت الإدارة الاسبانية إلى إكساب شباب المنطقة مهارات حرفية ومهنية متعددة التخصصات في إطار محاولاتها لإدماج هؤلاء في سياستها الأمنية والاقتصادية بالمنطقة، وفي سبيل ذلك أسست "مدرسة الفنون والصناعة" (*la Escuela de Artes y Oficios*) التي ضمت تخصصات متعددة لعل أبرزها: النجارة والميكانيكا وتسفير الكتب والرسم والحكاية وصناعة الزرابي والسباكة والرقانة وصياغة الحلي، كما عرفت هذه المؤسسة المهنية تسجيل بعض الجنود في تخصصات كانت تحتاجها الإدارة الاستعمارية، في حين شملت التخصصات المهنية الخاصة بالنساء صناعة الزرابي والألبسة الصوفية والخياطة وغيرها[٣٩].

ونتج عن هذه الدينامية التعليمية ابتعاد جزء كبير من أبناء المنطقة عن حلقات الدرس التقليدية والكتاتيب القرآنية، خاصة بمدينة إيفني التي كانت معنية بالتعليم النظامي أكثر من غيرها، وهو ما خلق شبابا محليا عارفا باللغة الاسبانية متداولا لها في محادثاته ولقاءاته، ومتابعا للقصص والمجلات الأجنبية المصورة. كما ساهمت المقاهي والحانات والحدائق ونادي الرياضة في خلق نوع من الاختلاط بين المعمرين الإسبان ونظرائهم من نخبة السكان المحليين، وقد شكل اعتياد هؤلاء على ارتياد هذه الفضاءات شكلاً من أشكال المثاقفة التي تبرز تمثلاتها في الاجتهاد في التقرب للإسبان وتبادل الحديث معهم، وأيضا في التشبه بلباسهم ومظهرهم وتعلم عاداتهم في الأكل والشرب.

لقد استحوذت القصص المصورة على اهتمام الأطفال، باعتبار ما تحمله من تسلية، ونظرا لطابعها الفني وأسلوبها البسيط المعتمد على التشويق والرسومات التي تملك قوة كبيرة في التأثير على المتخيل. ويهدف نشر هذه القصص والمجلات المصورة إلى بث روح الاستعلاء والتفوق الغربي، وبث الشك في معتقدات الإنسان المحلي، الأمر الذي خلق حسًا جديدًا وبديلاً عن الثقافة المحلية التي تمثلها الحكايات والروايات الشعبية المأثورة عن الأجداد.كما انتشرت بين ناشئة المدينة مجموعة من الألعاب الدخيلة، والتي تختلف شكلاً ومضمونًا عن تلك التي اعتادوا عليها، وهو ما ترك آثاره على مستوى الذاكرة والثقافة.

### ٢/٤-تحولات على هامش تحديث القطاع الصحي

احتل قطاع الصحة مكانة خاصة في سياسة الإدارة الاسبانية بآيت باعمران، نظرًا لأهميته في استتباب الأمن وتحقيق استمرارية طويلة للاسبان بالمنطقة. وفي إطار هذه السياسة مثَّل الطبيب الإسباني عنصرا مهما في نقل الإيديولوجية التمدينية باعتباره وجها أكثر تأثيرا وقبولا من طرف رجال الدين المحليين[٤٠]، لذلك صبّت الجهود الرسمية على تحديث هذا القطاع وتطوير بنيته وتحسين جودته. ولم تكن المنطقة تتوفر سنة ١٩٣٦ إلا على مستشفى واحد مختلط مدني-عسكري، ومستوصف للمسلمين بمدينة إيفني، وآخر "بتالوين" خاص بالبدو والرحل، قبل أن يتم العمل على تحسين وضعية المستشفى الرئيسي وتجهيزه، وإضافة مستوصف بمنطقة "تكَراكَرا" وآخر ب"صبويا" كان يهتم بتقديم فحوصات طبية بمساعدة بعض الممرضين المحليين. كما تم إطلاق حملات للتلقيح ضد بعض الأمراض الوبائية كالملاريا والحمى،

والتي اعتمدت على دراسات علمية دقيقة سعت إلى التعرف على الأجناس البشرية وخصائصها وطبيعة المناخ والبيئة بالمنطقة[٤١].

لقد ساهمت هذه التطورات في تحسن الأوضاع الصحية بالمنطقة، وهو الأمر الذي لقي استحسانا من قبل الساكنة، وجعل البعض منهم يقبل على امتهان التمريض، فمنهم من نال شواهد مكنته من العمل في المستشفى المحلي، خاصة بقسم الجراحة. ولم تشذْ النساء عن هذا الركب، حيث حصلت أول امرأة باعمرانية على شهادة في التطبيب من جامعة "قادس"[٤٢].

هكذا، تحول العمل في القطاع الصحي إلى درجة من درجات الرقي الاجتماعي بآيت باعمران، وأضحى لقب "السينياتور"، الذي يُنعت به الممتهن لمهن التمريض والطِبابة، دليلا على مكانة صاحبه الاجتماعية المهمة والمحترمة ليس فقط محليًا، بل حتى في أوساط الأوربيين العاملين في هذا القطاع بالمنطقة. كما يشير امتهان المرأة الباعمرانية للتمريض وإقبالها على الاستفادة من الخدمات الطبية عوض الطب التقليدي البديل، خاصةً بعد تعزيز المستشفى المحلي بمصلحة لطب الأطفال سنة ١٩٦٣، إلى تحول جذري في وضعيتها داخل المجتمع المحلي المحافظ، ويدل على انفتاح وتفاعل هذا المجتمع مع الوجود الاسباني.

ومما لا شك فيه أن هذه التدابير الصحية قد شكلت مدخلاً من مداخل التغلغل الاستعماري بالمنطقة، فهي تساهم بشكل كبير في اختراق المجتمع الباعمراني والوصول إلى الأهالي واكتساب ثقتهم، وهو ما أحدث تحولا في الاعتقادات والسلوكيات السائدة لديهم، خاصة ما يتعلق بمحدودية الطب التقليدي أمام جاذبية الطب العصري الذي ساهم في تحسين الأوضاع الصحية، والقضاء على بعض الأمراض الوبائية، والرفع من نسب الولادات ومدى الحياة بالمنطقة.

### ٣/٤-توسع عمراني يعكس تحولات في البنية الاجتماعية

مزج الإسبان في بناء مدينة سيدي إيفني بين الطابع المحلي-الأمازيغي والإسباني، واعتمد البناء بالمنطقة بشكل كبير على الطوب، وهي نفس المادة التي درجت الإدارة الاسبانية على استخدامها في تشييد عمارتها الإدارية والعسكرية، ومن ضمنها الحامية العسكرية الرئيسية المطلة على البحر. ويمكن تفسير الإبقاء على استخدام الطوب في البناء إلى غلاء مواد البناء العصرية كالإسمنت والحديد، ونذرتها في الأسواق، ويضاف إلى ذلك ضعف القدرة الشرائية والمعيشية للساكنة التي كانت نسبة كبيرة منهم حديثة الاستقرار بالمدينة. ولا تزال المدينة تحتفظ بين أزقتها بذات الجدران الطوبية السميكة والسقوف الخشبية والأبواب (خاصة أزقة حي بولعلام).

ولعل الهدف من توسيع المدينة وتسريع وثيرة البناء على الرغم من تلك الظروف، هو سعي الإدارة الإسبانية إلى وضع أسس مدينة حديثة تستطيع استقطاب المعمرين الأوربيين، خاصة الإسبان اللذين كانت تغريهم ظروف العيش في مناطق الحماية الفرنسية بالمغرب. وتأسيسًا على هذا التصور جاء تصميم المدينة أفقيًا على امتداد الشاطئ، إذ تمتد الشوارع والحي الإداري للحكومة

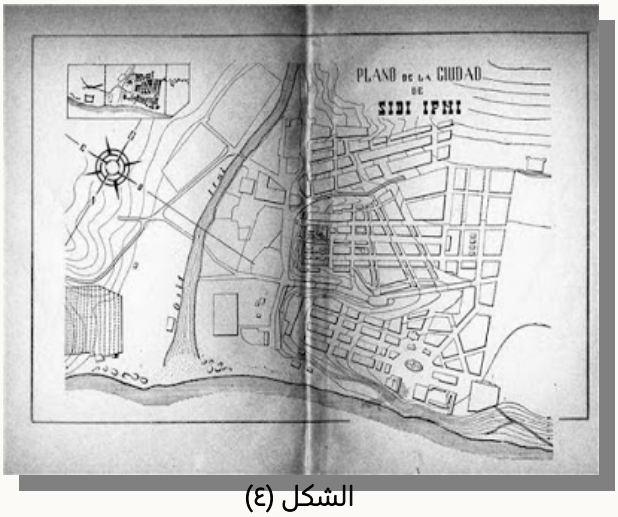


**الشكل (٤)**

تصميم مدينة سيدي إيفني[٤٣]

وعلى الرغم من أن الإسبان حرصوا على عزل الحي الاسباني عن باقي الأحياء المسلمة (حي كاطالونيا على الضفة الشمالية من الوادي الذي يخترق المدينة)، فإن التوسع العمراني الذي عرفته مدينة إيفني مكَّن السكان المحليين من الاستفادة من مساكن خاصة بهم، ويمكن تفسير هذه الخطوة برغبة الحكومة في الظهور بمظهر الدولة السخية على رعاياها من السكان المحليين، خاصة بعد أن أصبح وجودها بالمنطقة مهددا بعد ارتفاع حدة الضغوط العسكرية والسياسية نهاية الستينات من القرن العشرين (عمليات جيش التحرير). لقد سعت الإدارة الاسبانية منذ البدايات الأولى لوجودها بالمنطقة إلى إقامة دار للسينما، وهو ما خلف آثارًا على مستوى الذاكرة المحلية منذ تأسيس سينما "***Avenida***" سنة ١٩٣٥، وخلف بصمات واضحة على مستوى سلوك وثقافة الإنسان المحلي الذي أغرته السينما

وتمثلات الثقافة الغربية، خاصة أنه لم يكن يمتلك القدرات الفكرية والذهنية الكفيلة بفهم وتحليل الخطاب الإعلامي ذي الحمولة الاستعمارية والاستعلائية التي تمثلها الأفلام المعروضة، خاصة الأمريكية منها[٤٤].

إن تأثر هؤلاء بهذه الثقافة الدخيلة وإعجابهم بها يتجلى في إقامتهم علاقات ود وصداقة مع الإسبان، إذ درجوا على مشاركتهم جلسات السمر والخمر داخل نواديهم ومقاهيهم، بل لم يترددوا في ربط علاقات غرامية مع النساء الاسبانيات، وتقليد الممثلين في مظهرهم (تسريحة الشعر والملبس) دون إدراك للخلفية التي تحملها هاته المظاهر. ولم يسلم الجانب اللغوي بدوره من تأثيرات التمازج والاختلاط، خاصة حين أضحى إتقان اللغة الإسبانية مظهرا يعكس الإعجاب والتأثر الواضح بالثقافة الإسبانية وأهميتها في تحضير الشعوب[٤٥]، ويبدو ذلك جليًا في تجليات الحياة اليومية للساكنة المحلية، وفي محادثاتهم ولغتهم التي أصبحت تحمل الكثير من المفردات الاسبانية، خاصة ما يتعلق بأدوات الطبخ أو أدوات الاستحمام وكافة مقومات البيت ومكوناته، والأمر نفسه ينطبق على العادات الغذائية المحلية التي تأثرت بالطبخ والأكلات الإسبانية (الطورطية والبايلا...).

إن التثاقف تبعا لهذا السياق الثقافي الغير متوازن؛ يحيل على علاقة خاصة تجمع بين ثقافة الإنسان المُسْتَعْمِر وثقافة الإنسان المُسْتَعْمَر، أي في نهاية الأمر، هي العلاقة التي تربط بين ثقافة الأنا (القوي والمتحضر...) وثقافة الآخر (الضعيف والمتخلف...). ولتكريس تلك العلاقة العمودية بين الطرفين؛ عمد المستعمر الاسباني إلى الاستعانة بالقوى الاقتصادية والتكنولوجية الحديثة القادرة على الإبهار والإدهاش، والتي ستسهل في نهاية المطاف مسألة تنميط وتكييف ثقافة الإنسان المحلي على ثقافته تحت فكرة التثاقف. وكأننا هنا نتكلم عما يمكن تسميته "مثاقفة قسرية"، أي أن "التثاقف" المطروح لا يحمل شرطي التأثر والتأثير والتبادل الفكري بين الثقافتين (المحلية والأجنبية)، بقدر ما يحمل شحنة سلبية تتأسس على شرط المركزية الثقافية لقطب معين (الاحتلال الاسباني)، وهي التفاعل الثقافي المبني على النزعة الامبريالية الراغبة في محو الآخر واستعباده فكريًا وثقافيًا.

## خامسًا: التحولات الاقتصادية بمجال آيت باعمران

لم يكن المخطط الاقتصادي الإسباني بمجال آيت باعمران معزولا عن الرؤية الاقتصادية الشاملة التي تحكم تصوراتها باقي مستعمراتها بالمغرب عامة. فقد حضرت مظاهر جديدة وأنشطة محسوبة على القطاع الاقتصادي لتكشف عن تصور يركز جهوده على كيفية استغلال كل الإمكانيات المتاحة، وذلك اعتمادا على إدخال التقنية الحديثة، وتوظيف الرساميل الخاصة، وشرعنة سياسة الاقتراض، وكذا فرض رقابة صارمة على الاستهلاك المحلي والإشراف الدقيق عليه. لذلك سنركز في هذا المحور على رصد تجليات التحولات الاقتصادية في قطاع الفلاحة والتجارة فقط، باعتبارهما القطاعين الرئيسين الذين تأثرا بالتحولات.

### ١/٥-الفلاحة ومؤشرات التحول

على الرغم من بعض الإكراهات المرتبطة بضعف التربة وصعوبة التضاريس، فإن الإدارة الاسبانية حاولت تجاوز ذلك عن طريق نقل مجموعة من التجارب الفلاحية الاسبانية لتطبيقها بصورة ميكانيكية على المنطقة، وعملت على تطويع النظام المدرسي وربطه بالإنتاج الاقتصادي الذي يخدم مصلحة المستعمر قبل الأهالي، وذلك عبر تطبيق برنامج "التعليم الفلاحي والتقني" في المدارس الابتدائية والثانوية، والتي تقدم دروسا في الزراعة وكيفية اختيار الحبوب وغرسها، وتلقن روادها علم النبات والتلقيح والطرق الناجعة في استغلال مياه السقي وتحويل الأراضي البور إلى مسقية، إضافة إلى تدريس طرق الحفاظ على أنواع الأشجار المثمرة ومبادئ مواجهة الجوائح[٤٦].

وفي نفس السياق، قامت نفس الإدارة بتوفير الجرارات والآلات الفلاحية اللازمة، وشجعت على كراء الأراضي الزراعية وحفر الآبار وتوسيع زراعة الصبار والتبغ والموز والشاي الأخضر من أجل التخفيف من استيراده من اسبانيا[٤٧]. وابتداء من سنة ١٩٤٥ قامت السلطات الاستعمارية الاسبانية بتأسيس "الجماعة القروية" *(Junta Rural)*، إضافة إلى صندوق لدعم الفلاحين يهدف إلى تقديم القروض التسهيلية سمي ب"الصندوق الإقليمي للقرض" ( *laCaja Territorial de Crédito*)[٤٨].

ونتيجة لهذه المجهودات المبذولة من أجل تحديث القطاع الفلاحي تضاعفت المساحة المزروعة بالمنطقة، حيث غطت الأراضي المزروعة بالشعير ٣٠ هكتار مقابل ٥ آلاف من أراضي القمح، في حين غطت أشجار الأركان ١٥ ألف هكتار من الأراضي، إلى جانب ٢٨ ألف هكتار من الأراضي انتشرت بها أشجار الصبار. كما ساهمت هذه التطورات والتحولات في استقطاب يد عاملة مهمة تجاوز عددها ١٢٠ عاملا كانوا يتقاضون ٢٥٠ بسيطة "*Peseta*" (العملة الإسبانية آنذاك) في اليوم، إضافة إلى

كيلوغرام واحد من كل نوع من الخضر حين نضجها[٤٩]. وعلاوة على ذلك، تضاعفت محاصيل الحبوب، إذ سجلت سنة ١٩٦٢ ارتفاعا في المردودية نورده في الجدول التالي:

| نوع الحبوب | المساحة بالهكتار | الوزن بالأطنان |
|---|---|---|
| الشعير | ٢٣,٩٠٠ | ١,٦١٢ |
| القمح | ٣,٢٤٣ | ٨٥ |
| الذرة | ٥٢٧ | ٣٠,٨ |

**الشكل (ى)**

جدول يوضح تطور إنتاج الحبوب خلال سنة ١٩٦٢[٥٠]

كما أسهم تدخل الإدارة الاسبانية من أجل تدبير القطاع الفلاحي، في تحول نظام الملكية من الملكية الجماعية إلى الفردية، وخلق مجموعة من الملاك الجدد هم في نفس الوقت جنود في الجيش الاسباني، إضافة إلى انتشار ظاهرة كراء الأراضي ورهنها من مالكيها المحليين بأثمان زهيدة بدعم مالي من الإدارة الاسبانية[٥١]، خاصة بعد أن أصبحت الأراضي الزراعية مُوَردا أساسيًا للأسواق المحلية بالخضروات والفواكه.

لقد درجت بعض قبائل آيت باعمران على الرعي والاهتمام بتربية الماشية تبعا للمعطيات الطبيعية التي يجود بها المجال، والأمر نفسه يقال عن تربية الدواب التي كانت تسخر في الأسفار والمعارك كالخيول، أو النقل وحمل الأثقال والحرث والسقي كالإبل. وتبعا لذلك سعت الحكومة المحلية الاسبانية بالمنطقة إلى إدخال مجموعة من التعديلات على هذا الميدان من أجل الرفع من إنتاجية، وتلبية الاستهلاك الداخلي قبل التفكير في التصدير، وذلك من خلال تحسين نسل الماشية، وتكليف لجان الصحة القروية التابعة لمكاتب الشؤون الأهلية لمراقبة القطعان (التلقيح وتوفير الأدوية) خشية انتشار الأمراض والأوبئة في صفوفها وانتقالها إلى الناس، إضافة إلى إقامة نقاط مراقبة على الحدود مع مناطق النفوذ الفرنسي لمنع تصديرها[٥٢]، الأمر الذي أدى إلى التضييق على حركة الرحل من قبائل آيت باعمران داخل مجال ضيق يتميز بشح موارده وعطائه.

### ٢/٥-التجارة المحلية من الأسواق والمواسم إلى التنظيم والتحديث

أمام الاكراهات التي تطرحها جغرافية مجال آيت باعمران، والتي يفاقم من حدتها افتقاد حاضرته (سيدي إيفني) لميناء تجاري فعال، حاولت الإدارة الاسبانية إقامة نقط مراقبة على طول حدود المجال مع مناطق الاحتلال الفرنسي للسماح للتجار المحليين بالتجارة مقابل أداء رسوم جمركية، وقد شجعت طبيعة العلاقة مع الحكومة الاسبانية المحلية التجار المحليين على احتكار بعض السلع، حين لجأت هذه الحكومة إلى تكليف بعض تجار الجملة -عن طريق مكتب الشؤون الأهلية- باستيراد السلع من الخارج[٥٣]، خاصة مادة الإسمنت التي كانت تعرف إقبالا كبيرا باعتبار التوسع العمراني الذي عاشته المدينة إبان هذه الفترة.

لقد تأزمت أوضاع التجار المحليين أكثر بعد تطبيق الإدارة المحلية إجراءات ضريبية جديدة على المواد الغذائية، وهو ما أدى إلى تراجع أرباح التجار المحليين الذي عبّروا أكثر من مرة عن سخطهم وتذمرهم من تلك التدابير التنظيمية، والتي تعززت بعد استحواذ الشركات الاسبانية على تجارة المواد الاستهلاكية الرئيسية كالقمح والدقيق والسكر والزيت والثوب، فلم تترك للتجار المحليين مجالا سوى إعادة البيع بالتقسيط، بعد ما دفعهم الأمر إلى الاقتراض من البنوك الاسبانية مقابل تسهيلات مخفضة في الأداء[٥٤].

كما ساهمت هذه الأوضاع في انتشار ظاهرة التهريب والتجارة الغير الشرعية عبر الحدود، وازداد الوضع سوءا حين خصصت الإدارة الاسبانية بطاقات تموين تسمى "البالي" منحت لجنودها ولأصحاب الحظوة من التجار الباعمرانيين، واللذين كانوا يقومون بإعادة بيع السلع المحصل عليها بأثمان لا تتوافق مع السوق. ويبدو أن اللجوء إلى نظام التموين بالبطاقات كان مدفوعا في بعض الفترات بضعف المواسم الزراعية، وندرة المواد الاستهلاكية الأساسية كالخبز والزيت والسكر ،خاصة بعد الوهن الذي لحق تجارة المواسم والأسواق نتيجة التضييق الأمني والعسكري بين الاسبان والفرنسيين، وكذا انحصار تجارة القوافل التي كانت تساهم في ترويج السلع المحلية، وذلك في وقت تحول التجار المحليين إلى مستوردين كبار للسلع الاسبانية ومروجين لها في تراب آيت باعمران.

لقد حاولت السلطات الاسبانية بآيت باعمران تجاوز هذه الأوضاع عبر خلق بنية تحتية تتناغم مع دور المنطقة كملتقى للقوافل التجارية ومركز لمجموعة من الأسواق والمواسم[٥٥]، ولعل ذلك ما دعاها إلى إعطاء الأولوية لتقوية الطرق والمسالك وخلق أخرى جديدة. وقد كان البدء بفتح مسلك طرقي جديد يربط ما بين إيفني وأكّادير سنة ١٩٣٥[٥٦]، وكذا شق طرق جديدة في اتجاه باقي المراكز القروية والبوادي الباعمرانية التي ترتبط بالأسواق اليومية والأسبوعية والمواسم[٥٧]، من

"ثلاثاء اصبويا" إلى "تلوين" ونحو "تيغزة" و"أربعاء ميستي" جنوبا، وفي اتجاه الشمال حيث سوق "سيدي محمد بن عبد الله".

وفي نفس السياق، عملت الحكومة المحلية على إصلاح وترميم بعض الأسواق وبناء أخرى، حيث أعادت بناء سوق "الخميس القديم"، وحولت سوق "الخميس الجديد" إلى مركز لإقامة "موسم سيدي علي بوزيد"، وجعلت تشييد محلاته على نفقة التجار. ولم تستثني هذه الدينامية أسواق مدينة إيفني، فقد تم بناء سوق عصري تحيط به أسوار عالية ببرجين وثلاثة أبواب. ومن أجل تنظيم أسعار السلع المعروضة فيه؛ قامت السلطات بوضع سبورة حائطية خُطت عليها أثمان المواد المعروضة لمدة شهر[٥٨].

وفي إطار سعيها لتنظيم الأسواق القروية، قامت الإدارة المحلية بفرض ضرائب على المبيعات والمشتريات داخل الأسواق حسب نوعية المادة أو السلعة أو الحرفة وحيزها المكاني، كما عملت على تنظيم أماكن العرض فخصصت لهذا الأمر تواصيل توزع على العارضين تحمل أرقاما تسلسلية، وقد تكلف رؤساء الفرق الأمنية التابعة لمكتب الشؤون الأهلية و"الأمغار" بتحصيل هذه الضرائب[٥٩].

كما سعت السلطات الاستعمارية الاسبانية إلى إضفاء صبغة رسمية على الاحتفالات التي تواكب المواسم الدينية التي كانت تؤثث تراب آيت باعمران، وذلك من خلال حضور كبار ضباط جيشها وأعيان المنطقة وكبار التجار، وقامت بتشجيع الفلاحين ومربي الماشية على عرض أحسن منتجاتهم بها، وخصصت لهم جوائز تحفيزية ولباقي الفلاحين الآخرين، كما منعت تجارة العبيد التي كانت رائجة ومحتكرة من طرف بعض الأسر الباعمرانية الثرية.

ونتيجة لهذه الدينامية؛ تضاعفت ثروات بعض الأسر التجارية المحلية كأسرة "لشكَر" و"إذ الحجاج" و"احماد الدرهم"، وتطورت أرقام معاملاتهم في سلع وبضائع لم يتعود أفرادها على المتاجرة فيها، بل احتكروا تجارة بعض المواد كالبناء والحديد والصباغة والفخار والمواد الغذائية، إضافة إلى سلع أخرى كالطيب والنسيج والأقمشة. وهكذا أصبح التجار المحليون زبناء أوفياء للبنوك الإسبانية من خلال الادخار والاقتراض، فاستوعبوا الثقافة "النقدية" في كل معاملاتهم الاقتصادية[٦٠].

ولم يقتصر النشاط الاقتصادي لبعض هذه الأسر على التجارة فقط، بل شمل الاستثمار في الفلاحة والعقار من كراء الدور ورهنها وبيعها، حيث اشتغل أفرادها في قطاع البناء الذي ازدهر خلال فترة تأسيس مدينة إيفني، حيث قاموا بتأسيس شركات عقارية للبناء وكراء الأراضي والدور. ونتيجة لتوسع تجارتها وعلاقات مع الإدارة الاسبانية المحلية بإيفني[٦١]، قامت أسرة "آل لشكَر" ببناء معمل يهتم بالصناعات السمكية كالتمليح والتعليب وتوفير الزيت والدقيق بالقرب من ميناء إيفني، إضافة إلى إنشاء معمل آخر لخياطة الأزياء العسكرية للجنود المقيمين بالمستعمرات الاسبانية بإفريقيا الغربية [٦٢].

## خَاتِمَةٌ

تسمح دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لمنطقة آيت باعمران خلال الحقبة الاستعمارية، بتتبع مظاهر التعايش والتصادم بين الثابت والمتحول في الأحوال والظواهر الاقتصادية والاجتماعية على ضوء السياسة الاستعمارية وحصيلتها، خاصة عندما لا تقف هذه التحولات عند مجال واحد فقط.

لقد نجحت سياسة الإدارة الاسبانية بمنطقة آيت باعمران في اختراق المجتمع المحلي، وإحداث تحولات عميقة في بنية القبائل الباعمرانية عبر اعتماد مجموعة من المداخل التي مثلت أساس توجهاته وممارساته الاستعمارية. وإذا كان قطاع التعليم يعتبر مدخلاً اختراقيًا أساسيًا يسهل عبره تلمس متغيرات عدة مست بعض الجوانب الاجتماعية من حياة المجتمع المحلي، فإنه شكل بالنسبة للأهالي آلية من آليات التثاقف ساهمت في بروز نخبة جديدة على حساب نخبة قديمة ساهم التعليم التقليدي في إنتاجها. وقد راهنت السلطات الاستعمارية أيضا على القطاع الصحي من أجل ترويض الإنسان المحلي وإخضاعه لرؤية وسياسة تدبير المجال، كما آمنت بأن تحديث هذا القطاع يضمن لها حضورًا مستدامًا، ويؤمن لها علاقة طيبة مع القبائل الباعمرانية. لكن هذا الوجه السلبي يقابله جانبه الايجابي، حين يؤدي تحسن الأوضاع الصحية بالمنطقة في القضاء على الأوبئة والأمراض، ويسهم في إدماج الرجل والمرأة الباعمرانية في ميدان التمريض والتطبيب.

إن هذه السياسة ساهمت في تطور أعداد المعمرين الأجانب بالمنطقة، وشجعت على الهجرة نحو مدينة إيفني بعد تحسن الخدمات الاجتماعية بها، الأمر الذي انعكس سلبًا على

المجال الحضري الذي افتقد للانسجام بفعل السياسة التعميرية نفسها، وبروز بعض الظواهر الاجتماعية كالهجرة والبطالة والأنشطة الغير مندمجة، علاوة على بعض التحولات التي صاحبت بعض الجوانب السوسيو-ثقافية المتعلقة بالمظهر وطبيعة الملبس ونظام الأكل وغيرها. وقد ساهم إنشاء مرافق عمومية تخلق التسلية والترفيه في إيجاد جيل متشبع بتأثيرات الثقافة الغربية، وما تحمله من قيم دخيلة لم يكن بالإمكان الصمود أمام تأثيراتها، فنحن هنا أمام وضعية تثاقف نسقي وقسري أنتج تحولاً موجهًا ومشوهًا للثقافة المحلية المعرضة أكثر لهذا التثاقف السلبي.

واستهدف الوجود الاسباني بآيت باعمران أيضًا اختراق البنية الاجتماعية المحلية، عبر إعادة ترتيب النظام الاجتماعي المحلي وتقويض مؤسساته (انفلاسن) لإفراغها من محتواها حتى تكون قادرة على إنتاج نخب وزعامات تخدم مشاريعها في المنطقة.

لقد أسهم التدخل الاسباني بالمنطقة في إحداث تحولات عميقة مست التجارة المحلية التي كانت قائمة على التوازن بين عاملي الإنتاج المحلي والاستهلاك الذاتي للسكان، كما أدى إلى خلخلة هذا التوازن بخلق حاجيات جديدة للسكان ارتبطت بإحداث مرافق تجارية جديدة وتحديث أخرى قديمة، وظهور أطراف تجارية تستفيد من علاقاتها مع السلطة المحلية، وهو ما ساهم في بروز نخبة تجارية رأسمالية تحظى بكل أنواع الدعم والعناية.

هكذا تحول الاقتصاد المحلي من اقتصاد تقليدي إلى اقتصاد عصري يتميز بوجود زراعة استعمارية دخيلة موجهة لتلبية حاجيات المعمرين، وتعتمد على تقنيات ومفاهيم زراعية حديثة تحظى بمختلف الدعم، وتستفيد من البنيات التحتية والتنظيم العصري والتمويل المالي المتمثل في القروض التي توفرها الحكومة المحلية للفلاحين، وهو الأمر الذي ساهم في تفشي ظاهرة الاقتراض من البنوك الاسبانية، والتي كان من نتائجها إفلاس العديد من التجار المحليين، خاصة خلال الفترة التي سبقت جلاء الاستعمار الاسباني عن المنطقة سنة ١٩٦٩.

## الملاحق

الصورة (١)

مدرسة البنات بمدينة سيدي إيفني[٦٣]

الصورة (٢)

مدخل الحديقة الرئيسية بمدينة سيدي إيفني[٦٤]

الصورة (٣)

المستشفى المحلي بمدينة سيدي إيفني خلال ثلاثينيات القرن الماضي[٦٥]

الصورة (٤)

الثكنة العسكرية الاسبانية بمدينة سيدي إيفني

(صورة شخصية مأخوذة بتاريخ ١٠ نونبر ٢٠١٩)

الصورة (٥)

سينما *Avenida* بمدينة سيدي إيفني

(صورة شخصية مأخوذة بتاريخ ١٠ نونبر ٢٠١٩)

## الاحالات المرجعية:

(١) يقدم لفظ التحول في الحقل الدلالي بشكل أقرب إلى مفهوم التغير سواء في اللغة العربية أو الفرنسية، بحيث ورد في لسان العرب بأنه "تنقل من موضع إلى موضع". وفي معجم Le Petit Robert نجد مصطلح (Mutation) الذي يعني "تبدلاً عميقًا ومستمرًا". ويبدو أن مصطلح التحول في هاذين المعجمين يأخذ معنا عاما وشاملا، يحيل على التبدل من حال إلى حال وفق نسق يخضع لقوانين ومحددات داخلية وخارجية يحددها زمن التحول وظروفه، بمعنى أنه تفاعل واستمرارية لا يكون دائما ايجابيا ووفق ما يراد له. انظر توالیا: ابن منظور، **لسان العرب**، ج ١١، دار صادر، بيروت، دون تاريخ، ص. ١٨٩.

Le Petit Robert, Dictionnaire de la Langue Française, Paris, 1993, p. 1641.

(2) Monteil, Vincent, Note sur Ifni et les Ait Baamran, Paris, édition, Larose, 1948, p. 3.

(٣) بن علي الحساني، إبراهيم، **ديوان قبائل سوس في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي**، تحقيق عمر آفا، كلية الآداب والعوم الإنسانية، مطبعة الدار البيضاء الجديدة، الرباط، ١٩٨٩، ص. ٢٤-٢٨-٢٩.

(٤) المحمدي، علي، **السلطة والمجتمع في المغرب: نموذج آيت بعمران**، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، ص. ١٨.

(٥) المحمدي، علي، م. س، ص. ١٢.

(٦) تنحدر هذه القبيلة من أصول عربية، وسبق لها الاستقرار بمجال وادي نون خلال القرن السادس عشر، حيث فرضت سيطرتها على كامل المنطقة خلال الفترة السعدية قبل أن تنتقل إلى منطقة طاطا.

(7) Justinard, Villes et tribus du Maroc, Tome I, les Ait baamran, Honoré Champion, Paris, 1930, p. 76.

(٨) المحمدي، علي، م. س، ص. ١٦.

(٩) دحمان، محمد، **سيدي إيفني الساقية الحمراء ووادي الذهب في الكتابات الإسبانية (١٩٣٤-١٩٥٠)**، مطابع الرباط نت، ٢٠١٥، ص. ٢٠.

(١٠) ترأس هذه اللجنة الباحث الإسباني "هرناندیث باتشيكو" إلى جانب مجموعة من الأساتذة في مختلف التخصصات العلمية، وبالرغم من أن صدى أعمالها كان محل محاضرات ومقالات صحفية، إلا أن الحكومة الاسبانية لم تبد جانب الرضى على نتائجها، ولم تكن تتوقع خروجها بنتائج مقنعة. انظر: دحمان، محمد، م. س، ص. ٥٥-٥٦.

(١١) السوسي، المختار، **المعسول**، ج. ٣، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ١٩٦١، ص. ٣٩٣.

(١٢) علاء الدين، عبد المالك، **الوجود الإسباني بإيفني وآيت باعمران ١٩٣٤-١٩٦٩**، رسالة لنيل الدكتوراه في التاريخ، مرقونة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، ٢٠٠٥-٢٠٠٦.ص. ٨٨.

(١٣) المرجان، محمد، **مقاربة سوسيولوجية للمعرفة الكولونيالية الإسبانية بشمال المغرب (١٨٦٠-٢٠٠٢)**، رسالة لنيل دكتوراه الدولة في علم الاجتماع، مرقونة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، ٢٠٠٤-٢٠٠٥، ص. ٩٨.

(١٤) رسالة في ملك أمغار سعيد مؤرخة بـ ١٢ أبريل ١٩٣٤، انظر: علاء الدين، عبد المالك، م. س، ص. ١٨٤.

(١٥) نفسه، ص. ١٨٥.

(١٦) صيغة الجمع لكلمة "أنفلوس" الأمازيغية، وتترجم بـ "الأعيان". وهي عمومًا هيئة تنفيذية تسند رئاستها إلى أحد أعيان القبيلة من طرف الجماعة، ويشترط في أعضائها الانتماء أسر ذات جاه ونفوذ بالقبيلة. أما عدد انفلاس فقد كان يختلف من قبيلة إلى أخرى، غير انه كان موحدا داخل القبيلة الواحدة.

(١٧) المحمدي، علي، م. س، ص. ٦٣.

(١٨) نفسه، ص. ٧٠.

(١٩) تبنى المخزن أعرافًا درجت عليها قبائل آيت باعمران زمنًا طويلاً، وذلك حفظا لأمنهم وضبطا لعلاقة الأفراد والجماعات، وسيرًا على ذلك عمل القواد المخزنيين المعينون على الاسترشاد بأعراف جماعاتهم في تقدير الإنصاف والعقوبة، وفي تحديد الغرامة والجاني.

(٢٠) السوسي، المختار، م. س، ص. ٢٣٥.

(٢١) علاء الدين، عبد المالك، م. س، ص. ٣٧٠-٣٧١-٣٧٢.

(٢٢) حاولت السياسة الاستعمارية الإسبانية في المجال الصحي المبالغة في مكافحة الأمراض المعدية، وذلك من خلال نشر إحصائيات تهدف إلى طمأنة المعمرين الإسبان حول مستوى الأوضاع الصحية بالمنطقة، خاصةً وأن الأمراض شكلت رعبًا حقيقيًا بالنسبة للمهاجرين الأوربيين بشكل عام.

(٢٣) علاء الدين، عبد المالك، م.س، ص. ٣٧٥.

(٢٤) نفسه، ص. ٣٧٦.

(٢٥) علاء الدين، عبد المالك، م. س، ص. ٣٧٦.

(26) Domench Lafuente, un Official entre Moros, Editoria Morroqui Sidi (Ifni), Marzo de 1974, p. 165-178.

(٢٧) علاء الدين، عبد المالك، م. س، ص. ٣٨٣.

(٢٨) تأسست السياسة الاستعمارية الإسبانية بالمغرب حسب توصيات "الجمعية الجغرافية لمدريد" والجمعية الإسبانية للأفريقانيين المستعمرين"، على إقرار تنمية اقتصادية واجتماعية كجزء من المهمة الحضارية المفروضة على إسبانيا، وذلك من أجل التغطية على أهداف بعيدة المدى تعتبر ضرورية بالنسبة لتشريع الاستعمار وإشاعة أيديولوجيته. انظر المرجان، محمد، م. س، ص. ٩٩- ١٠١.

(٢٩) نفسه، ص. ١٠٥.

(٣٠) المسجد أو ما يصطلح عليه تبعا للهجة المحلية (تاشلحيت) "تمزكَيدة".

(٣١) زاول بعض الفقهاء المنتمين لبعض قبائل الصحراء (قبيلة الشيخ ماء العينين) مهنة التعليم في بعض المساجد العتيقة بمنطقة آيت باعمران قبل الوجود الاستعمار الإسباني بالمنطقة وأثناءه.

(٣٢) السوسي، م. س، ص. ١٥٤-١٥٥.

(٣٣) المحمدي، علي، م. س، ص. ٧٠.

(٣٤) نفسه، ص. ٥٢٥.

(٣٥) أشرفت الكنيسة الاسبانية بإيفني عن طريق بعض الرهبان والراهبات ضمن مؤسسة "كوليج الكاردينال سيسنيروس" (Cologio Cardenal Cisneros)، وكان مقرها داخل الكنيسة، وهي خاصة بالذكور. أما المؤسسة الثانية الخاصة بالبنات فقد حملت اسم "كوليج نويسترا سينيورا ديل بوين كونسيخو" (Nuestro Senora del Buen Consejo).

(36) Jeromino, Saenz Martinez, la Escuela y el Trabajo, la Iniciacion Profesional en la Escuela Graduad de Ninos de Sidi Ifni, A.O.E, n° 241, 1950, p. 4.

(37) Santa Maria, Ramiro, la Sanidad y la Ensenanza en una Provincia Espanola de Africa, Africa, n° 313, 1968, p. 25.

(38) Ramiro, op cit, p. 25.

(39) Martinez, Joronimo Saenz, Accion de España, Culteral y Sanitaria, en Sus Territorios del Africa Occidental, Africa n° 164-65, 1955, p. 30.

(٤٠) المرجان محمد، م. س، ص. ١٧٩.

(٤١) دحمان، محمد، م. س، ص. ٥٧.

(٤٢) علاء الدين، عبد المالك، م.س، ص. ٥٧٠.

(٤٣) انظر المقال في الموقع الإلكتروني التالي:
http://madrid-art-deco.blogspot.com/2016/12/sidi-ifni-la-olvidada-ciudad-colonial.html

(٤٤) تم عرض العديد من الأفلام التي تتضمن هذه الحمولة الاستعمارية الاستعلائية، نذكر منها: فيلم "أربعة أقلام"، وفيلم "الهجرة". انظر: علاء الدين، م. س، ص. ٦٢٣.

(٤٥) المرجان، محمد، م. س، ص. ١٦٩.

(46) Albeniz, Ruiz, Monographia Sobre Colonizacion Rural en Marruecos Espanol Madrid, N° 8, 1930, p.٢٧٠.

(47) Lafuente, op, cit, p. 174-175.

(48) Africa, la Agricultura y la Ganaderia en la Provencia de Ifni, N° 255, 1963, p. 28.

(49) Africa, op cit, p. 26.

(50) Pélissier, Réne, Los Territorios Espanoles de Africa, I.D.E.A, Madrid, 1964, p. 94.

(٥١) لم تبخل الحكومة المحلية بتقديم الدعم المالي للقطاع الفلاحي، حيث وصلت قيمة المساعدات المالية الممنوحة له سنة ١٩٥٩ إلى ٢'١٧٥'٠٠٠ بسيطة، وفي العام الموالي وصلت إلى ٢'٦٠٠'٠٠٠ بسيطة. انظر: Africa, op cit, p. 28.

(52) Africa, op cit, p. 30.

(٥٣) علاء الدين، عبد المالك، م. س، ص. ٢٩٢.

(٥٤) نفسه، ص. ٢٩٣.

(٥٥) خصصت السلطات الإسبانية المحلية لمدينة ايفني ضمن الميزانية العامة لأراضي ايفني والصحراء، ميزانية قدرها 26 228 7 419 بسيطة، وفق ما يحدده القانون الصادر في ٢٧ دجنبر ١٩٤٤ المنظم لميزانية ومجالات صرف النفقات في ايفني والصحراء مع الفصل بين المنطقتين. انظر: دحمان، محمد، م. س. ص. ١٧٤.

(٥٦) نفسه، ص. ٥٦.

(٥٧) نفسه، ص. ٥٨.

(٥٨) علاء الدين، عبد المالك، م. س، ص. ٣٠٥.

(٥٩) نفسه، ص. ٣٠٦.

(٦٠) المرجان، محمد، م. س، ص. ٢٥٢.

(٦١) احتكرت هذه الأسرة مشيخة قبيلتهم "مستي" بدعم من أول حاكم إسباني بالمنطقة "كباث"، وقد مكنهم هذا الوضع (القرب من إدارة الاحتلال الإسباني بالمنطقة) من الحصول على تسهيلات إدارية واقتصادية كبيرة تندرج في إطار السياسة الاستعمارية الهادفة لاحتوائها مثل هذه الأسر، وجعلها عنصرًا فاعلاً ومؤثرًا وممثلاً في الوقت ذاته لقبيلة لها نصيبها ووزنها السياسي كقبيلة "مستي" مثلاً. وفي سياق ذلك استطاع أحد أفراد هذه الأسرة يدعى"محمد الأشكَر بن أحمد" من شغل منصب عضو بلدي ضمن أول مجلس بلدي بالمدينة سنة ١٩٤٥.

(٦٢) تحولت أسرة "آل لشكَر" إلى نموذج للأسر الرأسمالية المحلية التي تتغذى من علاقاتها الواسعة مع الإسبان، فلم يقتصر نشاطها على التجارة فقط، بل شمل الفلاحة والعقار من كراء الدور والضيع، واشتغلت كذلك في قطاع البناء واستغلال سقايات الماء وكرائها. انظر: علاء الدين، عبد المالك، م. س، ص. ٣١٥-٣١٨-٣١٩-٣٢٠.

(٦٣) انظر المقال في الموقع الإلكتروني التالي:
http://madrid-art-deco.blogspot.com/2016/12/sidi-ifni-la-olvidada-ciudad-colonial.html

(٦٤) انظر المقال في الموقع الإلكتروني التالي:
http://madrid-art-deco.blogspot.com/2016/12/sidi-ifni-la-olvidada-ciudad-colonial.html

(٦٥) انظر المقال في الموقع الإلكتروني التالي:
http://madrid-art-deco.blogspot.com/2016/12/sidi-ifni-la-olvidada-ciudad-colonial.html